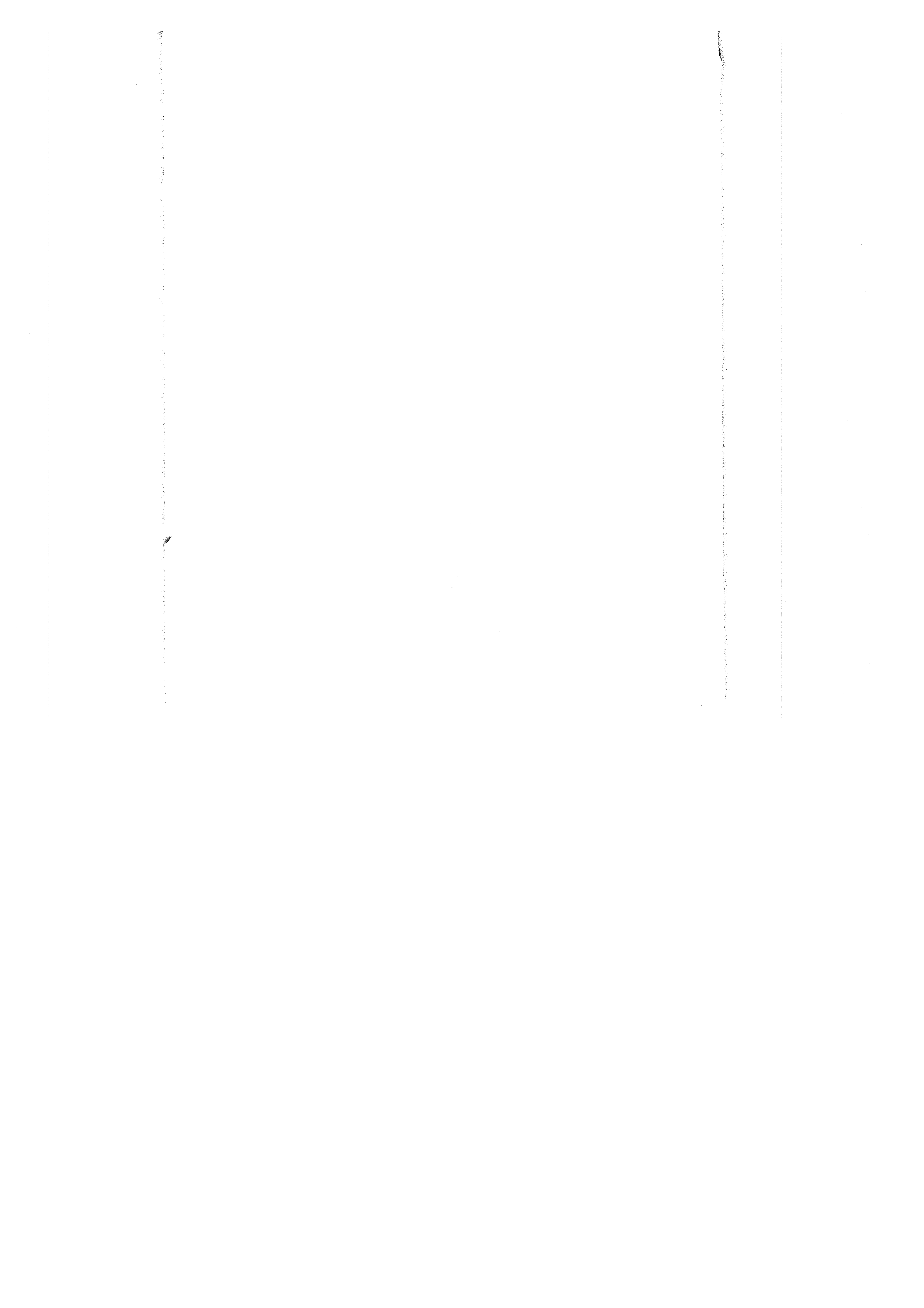
تراب القدس

شعــر

الدكتور حامد طاهر



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

وُلدتُ قبـــل اغتصـــاب أرض فلســطين بخمس سنوات ، ونشأت وأنا أدرس – طـــوال مراحل التعليم – كيف ضاع حقنا العربى فى تلك المنطقة التـــى باركـــها الله ، وظللــت أســأل وأستفسر عن العلل والأسباب ، حتـــى تــأكدت أخيراً من أنها كانت مؤامرة كبرى ، تم إعدادها بدهاء ، وجرى تنفيذها بإجرام ، وصادقت عليها دول كبرى ، ساعدت على طمس معالم الحــدود الجغرافية ، وإظهار المغتصب على أنه صـــاحب الحق التاريخى . .

وتحت هذا المستوى ، يأتى المستوى الآخر الذى انشغلنا فيه بالحديث عن ضعف العرب ، وتفرق صفوفهم ، وخيانة بعضهم بعضاً أحياناً . . وهنا يكثر الجدل ، وتتعدد الاجتهادات، وتعلو أصوات الاتهام ، ويستعذب جلد الذات، وكأنّ المأساة إنما هى بأكملها من صنع أيدينا ، أو أنها قد وقعت بالأمس فقط ، بينما هى بكل المقاييس مؤامرة عالمية . . تمتد لأكثر من قرن كامل من الزمان.

وفى مصر ، التى تقع أرض فلسطين مباشرة على حدودها ، طالت المأساة كل بيت تقريباً، وليس من المبالغة القول بأن كل أسرة مصرية قد فقدت أحد أبنائها فى الحروب التى خاضتها من أجل فلسطين (حرب ٤٨ ،

وحرب ٥٦ ، وحرب ٦٧ ، وحرب ٧٣ . . .)
وكانت أسرتى واحدة من تلك الأسر التى فقدت
أحد أبنائها خلال معارك الاستنزاف الممتدة على
جبهة قناة السويس فى آخر الستينات.

لقد جاء فى أمثال العرب قولهم " ليست
النائحة كالثكلى " أى ليست المرأة التى
يستأجرها أهل الميت للنواح على فقيدهم مثل
المرأة التى فقدت عائلها الحقيقى . . وهذا
معناه ببساطة أن هناك فرقا كبيرا بين البكاء
والتباكى . . وهو ما نجده بوضوح فى معظم ما
يكتب عن مأساة فلسطين : الكثير يحاول إظهار
التألم ، والقليل فقط هم الذين يحسون فى
حلوقهم بمرارة الألم.

ويهمنى هنا أن أصرح بأننى منذ بــدأت كتابة الشعر ، ارتبط عندى بعدة قضايا ، وطنية وقومية ، كان من أبرزها قضية فلســطين . . ولعلنى لا أذكر الآن عدد القصائد التى كتبتــها عنها ، ثم ضاعت منى فى غمرة أشعار المرحلة الأولى ، التى لم تكن أكثر من محاولات شــاعر مبتدئ . . ومع ذلك فإن ما بقى يكفى ليعبر عن المدى الذى احتلته تلك القضية – الجرح . . فى أشعارى .

هذه القصائد – علــى قلتــها – تمثــل مواقف مختلفة ، لكنها تلتزم كلها بمبدأ ثــابت : مبدأ رفض اغتصاب الأرض ، وإذلال البشــر ، وحتمية التحرير . . أما المواقف فكانت تتنــوع بين البكاء ألمــاً ، والصــراخ دعــوة للثــأر ،

والفرحة عندما تُلقى كف صبى بحجر ، ثم التأمل فى قوانين التاريخ ، والاعتقاد فى ضرورة النصر الحضارى على المدى الطويل ..

وإلى جانب تلك القصائد، توجد لدىَ مسرحية شعرية من ثلاث لوحات كتبتها عن المقاومة فى غزة بعنوان (الأشجار ترتفع من جديد)[1] ، وكنت قد أجلت نشرها لسنوات طويلة، معتقداً أن العدو حين يعاهد قد يفى بوعوده ، ولكننى سرعان ما تبينّت خطأ هذا الاعتقاد ، وعدت لما تربيت عليه من أن العين بالعين ، والسن بالسن ، وأنه لا يفل الحديد إلا الحديد !

---

[1] قمت بتسليم هذه المسرحية مع اثنتين غيرها ، إلى صديقى الناقد أ.د. حسن البندارى ليكتب لها تقديماً ، تمهيداً لنشرها فى أقرب فرصة ممكنة.

فى هذه النشرة الخاصة ، أكتفى بتقديم القصائد التى كتبتها عن فلسطين منذ عام ١٩٦٢ وحتى الآن . . وأجد أن اللحظة الراهنة مناسبة تماماً لكى أقدمها للقراء . . الذين يعيشون أحداث الانتفاضة الثانية بسبب الاعتداء على " الأقصى " ومنْع زواره من الصلاة فيه ، وأنا على ثقة كاملة ، من أن هذه الانتفاضة – حتى إذا لم تحقق أهدافها – سوف تتلوها انتفاضات أخرى أشد عنفاً وشراسة . . لأن العدوان الغاشم قد أصبح يتجاوز كرامة الأرض . . إلى قدسية المسجد !

٨ ديسمبر ٢٠٠٠ د. حامد طاهر

أغنية الراعى

[كتبت فى فبراير ١٩٦٢]

مــن ربــوةٍ خضــراءَ نائمــةٍ بأحضـــان الجبلْ
ســـاق النسيمُ الصَّـــبُ أغنيـــةً كرنّات القُبَـــلْ
يشدو بها راع ، خلىّ البـــال ، مشبوبُ الأمـــل
متفائـــلٌ برحابـــة الآفـــاق ، والعُشب المُطِـــلْ

* *

. . وتذكّر الراعى دعاء الأم فى غبش الصباح
"اذهب بُنىّ إلى سبيل الرزق . . يصحبك الفلاح"
" واحذر من الذئب اللعين ، وما تخبّئهُ الريـــاح"
"بل عُدْ سريعاً يا بنىّ .. فكم أخاف من البطاح!"

* *

ومضى يعيد خيالـــهُ طيفـــاً لسلمــــى مشرقـــاً

كبداية الفجـــر الوليـــد ، إذا ســـرى وترقرقـــا

كالبـــدر فى أفق السماء ، وقـــد سمـــا وتألّقـــا

كالزِهر بلَّله النـــدى فبـــدا جميـــلاً مطـــرقـــاً

* *

أوَ هكذا جاءت سُليمى عندمـــا كـــان اللقـــاءْ ..

تخطو . . كما يخطو الغزال إذا تخطَّر فى حياء

ضحكاتها النشوى تكسَّـــرُ بين طيـــات المســـاء

فتذوِّب الألم الأليـــم ، وتبعث الأمـــل المُضَـــاء

* *

ومضى يهدهد قلبه الخفَّاقَ من لَهــف الغــرام

ويداعب الناى الحنــون بأغنيــات مــن هيــام

تنساب فى غَيَد الهوى ، وترنَ فى سمع الغمام

وفــؤاده الخفَّــاق ينعــم بالسكينــة والســلام

* *

وعلى نُباح الكلب . . أخلد للطريــق المكفهــرّْ

ملأته أصواتُ البنـــادق فـــى جنـــونٍ مستعــر

كعواصــفٍ غضبَى . . تبعثر كل أوراق الشجر

وتبيد ما زرعتــه أيــامُ الخصوبــة والمطــر

* *

وتوقف الراعى يرى : مـــاذا سيفعلـــه الطغـــاهْ

بالأمس كان أبوه يرعـــى. إنهم قتلـــوا أبـــاه !

واستاق جندهم المُعربدُ مثـــل هاتيـــك الشيـــاه

وتمثَّل الثأرُ القديـــم بقلبـــه ، فغـــلتْ دمـــاه . .

*   *

ورأى الجنود تُجمِّع القطعان فـــى عصف عتـــىّ

فَعَدا يخلصهـــا بكـــل شجاعـــة القلـــب الأبـــىّ

بعصاهُ .. بالناىِ الحنونِ .. بسَوْرة العزم الفتىّ

بالروح . . ينفثها من الأعماق فى بأس قـــوىّ

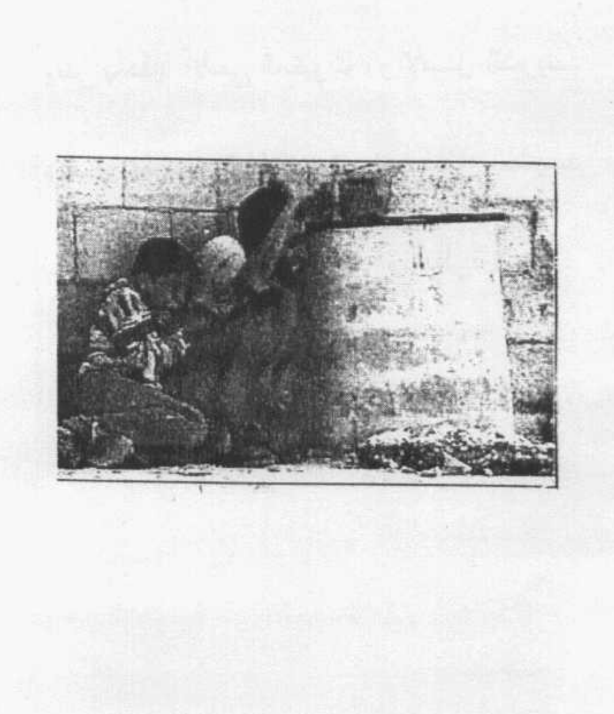
*   *

وعلى الثرى انفجر الدمُ الموّارُ من جسد الشهيدْ

يغلى بأحقاد الأسى المكبوت ، والأمـــل الشريـــد

والناى أخرسه الطغاةُ ، فنـــام مختنق النشيـــد

يحكى انطفاء الحق فى الدنيا، وسيطرة الحديد.



حكايـــة

فى معسكرات اللاجئين

[كتبت فى أغسطس ١٩٦٣]

" شب الوليد فلن تهون المرضعــةْ "

هتفت بهــا أشواقــه المتطلعــةْ

وتأمــل الأفق البعيد . . بخــاطــر

أضناه حَــر الذكريات ، وأوجعــه

متمزقــاً ، تغلــى دمـــاه بقصــة

عن والد تحت التراب ، ومزرعه

جفت بذكرهما الشفــاه من الأســى

وتنهّد الراوى ، وأطرق مَنْ معه

*   *

وانفض عقد السامرين ، فســـارعت

كفاه تستجدى العجــوز ليُسمعــه

" بالله يا شيخى أعدها . . " فاكتوت

أذنـــاه مـــن كلماتـــه المتشفعـــهْ

ورنا إلى الوجـــه الصغير ، فهالــه

مـــا فيـــه من إطراقـــةٍ متوجعــه

تبكى بلا دمـــع ، وتحـــرق ذاتهـــا

وتذوب فـــى آلامهـــا المتقوقعـــه

فانساب يقتلـــع الغنـــاء من الحشـــا

ويغالب الذكرى ، فيمسك أدمعـــه

* *

" يا يومها القاسى طلعت ، ولم يكن

إلا عجوز فى الدروب ، ومرضعة

وحمامـــة بين الغصـــون تراقصـــت

أفراخها ، فشـــدت لهن موقّعـــه

وتمايـــل الزيتـــون فيضَ صبـــابـــة

ورمى الكروم على السقيفة أفرعه

وهنـــاك لـــم ترحـــم صبيـــاً لاهيـــا

شاد البناء على الرمال ، وأوقعه

أترابه البسطـــاء حزمـــة سوســـن

نبتت بأحضان الربى . . متضوعه

ملأوا من الأحــلام أكــواب الصبــا

وقلوبهم بنــدى الحيــاه مشعشعهْ

وتعــانقــوا ضمّــات حــب رائــق

مــا زالت الأيــام تنشــد منبعــه

*   *

وطلعت غيمان الــرؤى ، متجهمــا

تتواثب الأحقــاد فيــك مروِّعــه

ويزمجر الطغيان فيــك ، وتلتــوى

فى صدرك الصخرى أنفاس الدَّعهْ

ثــم انقلبت علــى الربوع مفجــراً

غضب الزلازل ، واحتدام الزوبعه

*   *

أواه يا بلدى الجريح . . ويـــا دمـــاً

ما زلت أذكره ، وأعرف موضعه

وأدافـــع الرؤيـــا ، فتحرق أضلعـــى

وتثير أعمق ذكرياتـــى الموجِعـــه

شعب يدافـــع عن حمـــاه، وقبضـــة

تتجاهل الدنيـــا ، وتغصب أربعـــه

والراقدون علـــى الثـــرى أنشـــودة

عريانة النغم الشريد . . مقطَّعـــه

تجرى على وترى الحزين ، وتلتقى

بلحونىَ الثكلى ، ونفسى المترعه

فأســوقها لبنى الضياع . . لكل مَنْ

وارى أباً ، وله هنالك مزرعــه !

حتى يشب لنــا الوليــد المرتَجَــى

فيلم للصــدر الممــزق أضلعــه

ويــدق أبــواب الحيــاة بــأمّــــةٍ

عاشت جراحات النوى متطلّعــه

لغدٍ . . يسيل النور فيه ، وترتــوى

أعماق مَوْتورٍ ، وقلب مصدّعــه

* *

وتلفــت الشيــخ المحطــم للفتــى

فرآه مأخــوذ الفــؤاد ، موزّعــه

يرنو إلى ضوء يلوح على المدى

ويقول فـــى كلماتـــه المتقطّعـــه

" مهلاً فلسطين الجريحة . .

إننى خلف الحدود إرادة متجمّعهْ

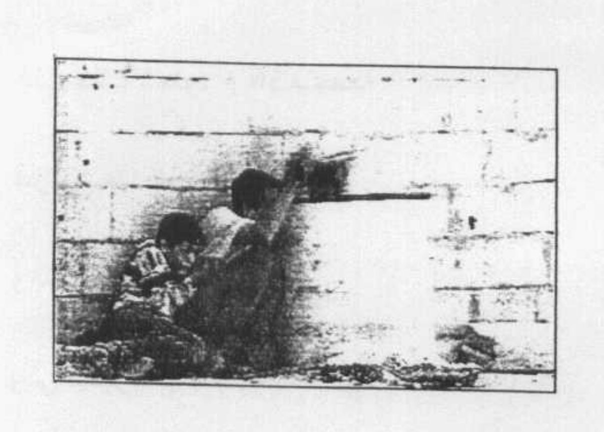
فترقبى هذا الغد الوضّاء ،

وانتظرى فتى . .

يأتى ليفجر منبعهْ

ويقولها للساهرين على الأسى

" شب الوليد فلن تهون المرضعهْ "



حنيناً تراب القدس . .

[كتبت في فبراير ١٩٦٥]

حنيناً تـــرابَ القـــدس مـــا نـــام ثائـــرُهْ

وشـــوقـــاً تهـــز العائديـــن مشاعـــرُهْ

وفى الركب لو تدرى قلوب طغـــى بهـــا

دمُ الثـــأر مـــوّاراً ، ودوّت مغـــــاورُهْ

وفرسانُ صدق صاحبـــوا الموتَ مذْحَبوا

على الأرض ، فانصبَّت عليهم مظاهره

زئيـــرُ بـــراكيـــنٍ ، وعصـــــفُ زلازلٍ

وإقـــدامُ هـــولٍ . . لا تـــردّ مقـــــادِرُهْ

* *

هى الحربُ ، يا ابن الحق، ما عاد دونها

سبيــل نــراه ، أو قــوى نحـــاذِرُهْ

هفوّنا لهــا من يــوم أنْ دنّس الحمــى

طريدُ وجود . . مــا تجفَّ مصــادره

هــو الدودُ يمتص النــدى من حقولنــا

هــو الجشــع الظمآن للشر ســادِرُهْ

تظـــل آمــانيـــه تنــزّ شــراهـــةً

كــأن الدُنــا أملاكــه وحــواضــرُه

وتسنـــده خلـــف البحـــار عصـــابـــة

رغائبُها أن يُحرَم الــزيتَ عاصـــرُه

وأن يحصدوا بالبأس أثمـار غيـرهـم

وأن يهدمـوا مَـنْ قوّمتـه مـآثـره

وأن يسترقـوا كـل حـر ، ويخلصـوا

إلـى كـل معنىً فـى دمـاه يـؤاذرُه

وألا يـرى الإنسانُ فى الكـون غيرهم

إلهـاً تـؤدّى كـالفـروض أوامـرُه !

*   *

لقـد فرّقتنـا عـن لقاهـم مصـائـبٌ

كبـارٌ ، ودهـرٌ جـرّحتنـا أظـافـرُهْ

وآمـال مُلْـكٍ زيّنـوهـا لـواهـمٍ

فطـار إليهـا ، والجنـون يخـامِـرُهْ

إلـــى أن أتاهـــا ، فالتقـــى بـــوعودهـــم

فراغاً ، تهاوت فى دُجـــاهُ ، مصائـــره

وصـــارت لدينا منه ذكرى . . نعيشهـــا

وتمُســـك فينـــا مـــن تهـــمّ خواطـــره

*　　*

كـــذلك نجلو الأمس . . كيمـــا نسوقـــه

إلى الغـــد مصباحـــاً ، تشـــعّ نواظـــرُهْ

ويفـــرش آفـــاق الطـــريـــق أمـــامنـــا

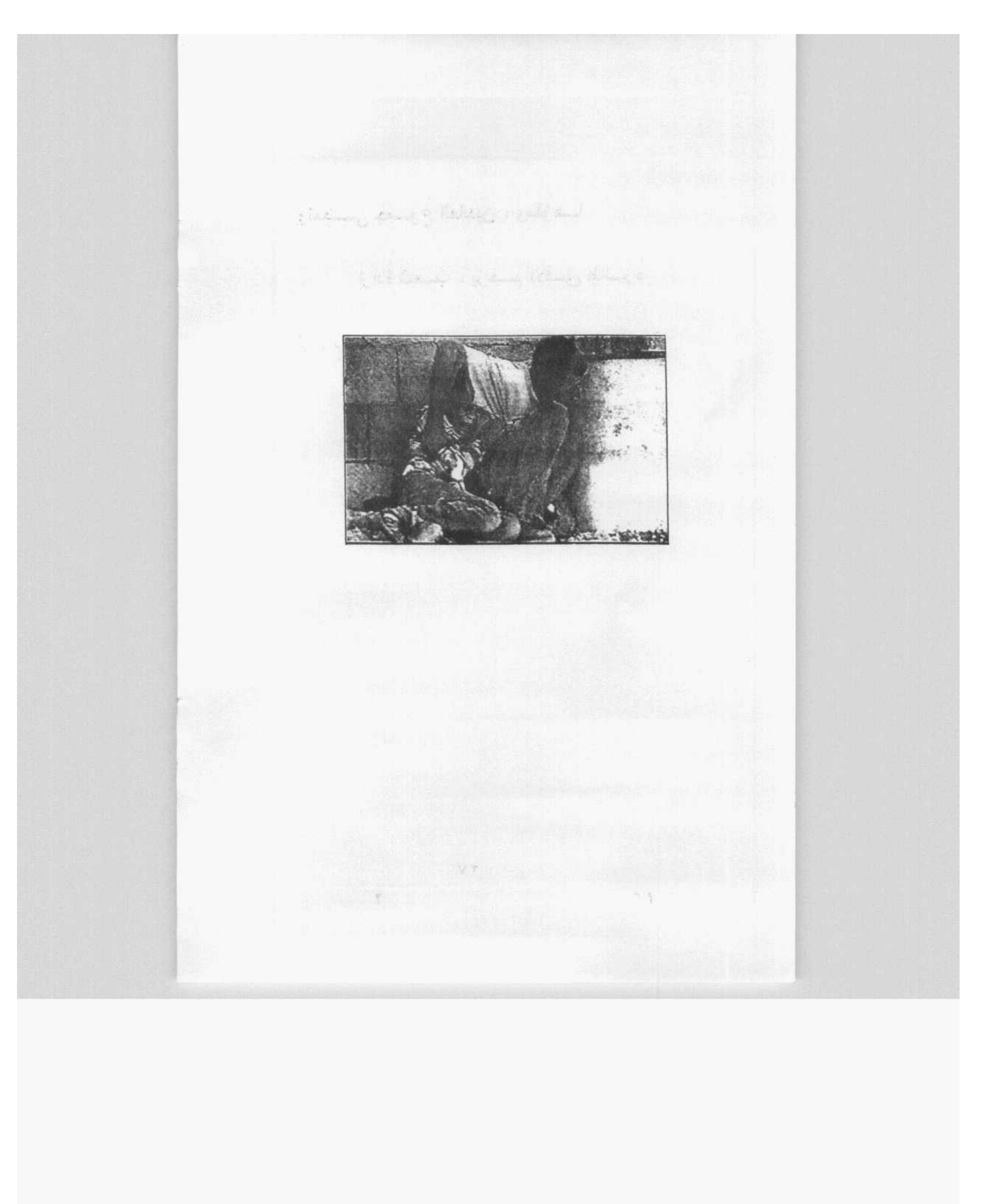
فتسنـــو دياجيـــه ، وتبـــدو سرائـــره

وتمضــــى جمـــوعُ العائدين ، وملؤُهـــا

إرادةُ شعـــب ، يزحـــم الأفـــق طائـــرهْ

ليـــومٍ ، تهـــون الروحُ فـــى غمراتـــه

ويرجـــع جيـــشُ الله ، والله نـــاصــرُهْ



الرسالة والسكين

[كتبت بعد شهور . . من نكسة يونيه سنة ١٩٦٧]

رسالةٌ من جيلنا الحزينْ

سار بها إليكَ شاعر حزينْ

مرّ على حطينْ

فى صدره سكينْ

فى ظهره سكينْ

وعندما ارتمى بظل قبرك الشاهق فى دمشقْ

تساقطت من دمه الحروفُ . . مُرَّة الصدى ،

مخدوشة الرنينْ

" القدسُ ضاعت يا صلاح الدينْ . . "

" القدسُ ضاعت يا صلاح الدينْ . ."

* *

القدسُ أصبحت أسيرة لهمْ

جارية لهمْ

يجرجرونها مع الصباح تملأ الجرارْ

وفى المساء ينزعون عن قوامها الإزارْ . .

ويرقصونْ

فى القدس يرقصونْ

على رخام الحرم الشريف يرقصونْ

. .

ونحن يا صلاحْ

تأكلنا الجراحْ . .

تجلدنا الرياحْ . .

تلفظنا الأرضُ ، وتجذب السماءُ ثوبَها من يدنا..

فما الذى ضيَّعنا ؟ !

بالله يا صلاح قُلْ لنا . .

بالله يا صلاحْ . .

*   *

كنتُ سكتُّ حين أطبق النبأ

لأن قول الشعر فى مواقف الأسى . . مخَادَعَةْ

لكننى أدركتُ أن الصمت ليس يُطفئ الظمأ

وأن بعضَ الحزن لا يزول عندما نقاومُهْ

بل حينما تقذفه صدورُنا ! !

*   *

يا صرخة البئر التى شوّه قاعَها الصَّدَأْ

تجمّعى . .

تجمعى ، وانطلقى

فقد يحرك النداءُ هَدْأة الحصى ،

ويُفزع الحِدَأْ ! !

*   *

يا عصرَنا المقامرَ الذى يلفّ ليلُه صباحَهْ

أعطيك عمرى ثمناً لساعةٍ أعيشها فى الدفء والصراحَهْ

الكلمات خادعه

النظرات خادعه

حتى انحناءة الرؤس . . خادعه

لا شئ غير الموت يصدق الجميع !

*　　*

يا سيدى . .

صليت قبل أن أزور مسجدك

وكنت قد غسلت بالدموع صرختى ، وقلت :

" ربما تسمعنى ! "

لكن بابك الكبير صدنى

أطلعنى على ضآلتى

أسكتنى !

*　　*

" ملعونٌ من يتكلمْ

ملعونٌ من يصرخ بالحكمة فى الأسواقِ ،

ويستجدى خبز اليومْ

كُنْ فعلاً . . لا كِلْمَهْ

كُنْ لله . . يكُنْ لكْ "

*　　*

وعدتُ يا صلاحْ

لجيلنا الحزينْ

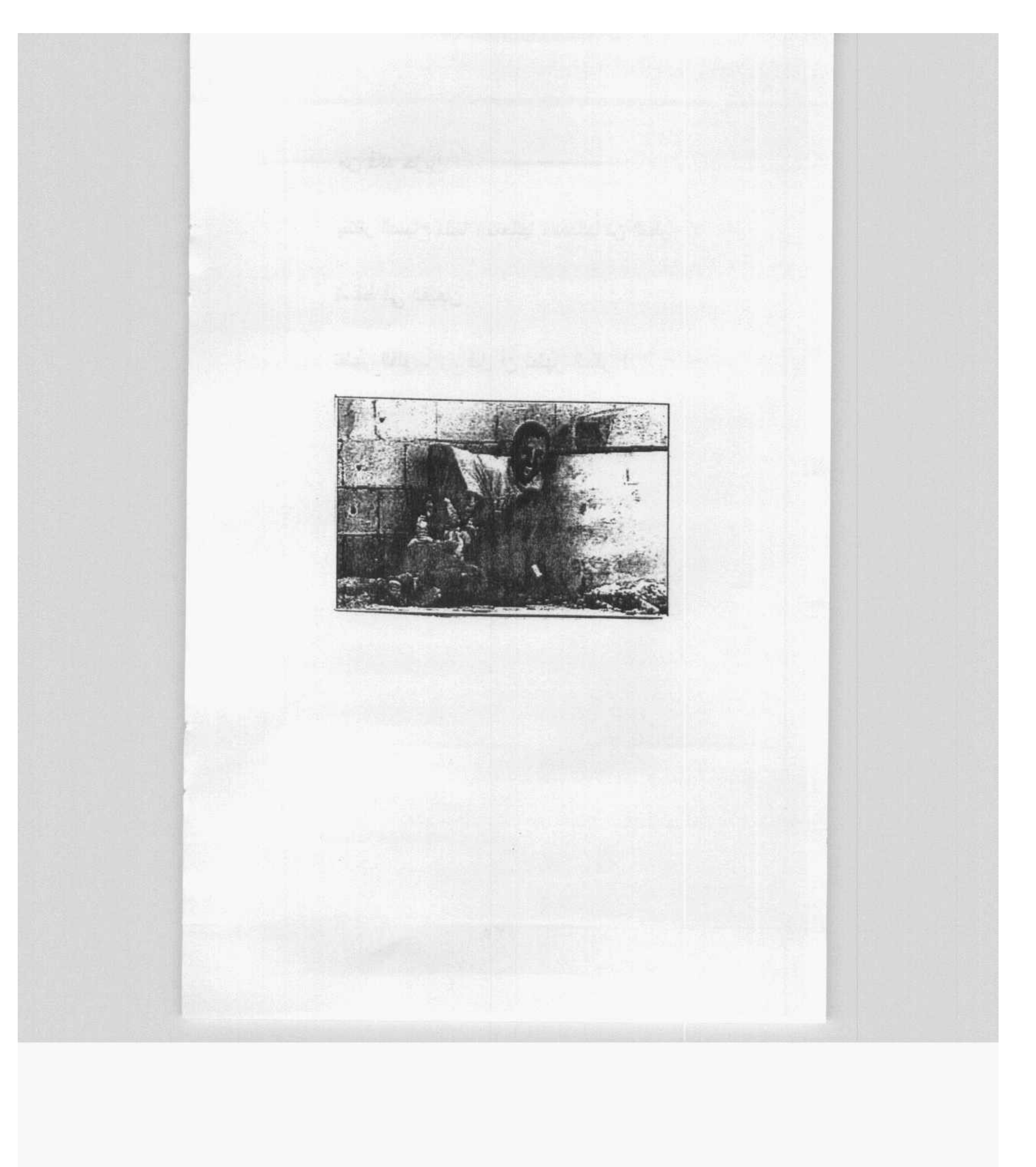
أحمل دفء الصوت والرنينْ

من قائدٍ حزين

ينتظر الصباح مثلنا ، سحائباً ، سحائباً من المطرْ

تسقط فى القيعانْ

تطهِّر القلوبَ . . قبل أن تطهِّر الحُفرَ !



من السجلات العسكرية

[إلى وجيه السيد . . ابن أخى وصديقى الــذى
استشهد على شاطئ قنـــاة الســـويس بقنـــابل
اليهود أثناء حرب الاستنزاف فى السابع مـــن
سبتمبر ١٩٦٩..]

الريح تعزفُ فى ضلوعِكَ غنوة الأفق البعيدِ ،

وأنت منكفئٌ . . تعدُّ رصاص مدفعك العنيدِ ،

وقد تألق فى محاجرك البريقُ ،

وأطرقتْ أنفاسُك المتلاحقاتُ إلى المدى . .

تشتم رائحة العدوِّ ،

وتستشيط أسىً . . إذا مر المساءُ بغير زادْ .

*　　*

ويمر قائدُك الحبيبُ عليك تسألهُ

متى تتحركونَ ؟

وأنت نارٌ للجوابِ ،

- فلا يجيئك منه غير إشارة خرساء تعلن الانتظارَ،

" ألا هلاكاً لانتظاركَ "

ثم يُخطرك الزميلُ بأن نَوْبَتَكَ انتهتْ

*　*

وتعودُ ترقدُ . . تاركاً عينيك تسرح فى السماءِ ،

تشاهد الحِدَأ التى تعلو وتهبطُ ،

كم يريحك أن تعانق ذكريات صباكَ ،

حين أهبتَ يوماً بالرفاق ليرفعوك إلى هنالكَ . .

حيث قلبُ العش . . والحِدَأُ الصغيرةُ . .

كيف لم تعلم بأنك حينما أطلقتها ، كانت ستنمو . .

ثم ها هى فى السماء الآن . . ترقبُ مَصرَعَكْ

* *

وتركتَ أمَّكَ ، منذ شهرٍ ،

كان عنفُ الداء قد أودى بنضرتها، وأسلمها الفراشَ،

تظلّ تسعلُ ، لم يعد يشفى الدواءُ ،

وحينما ودَّعتها أحسست أن دموعَها كانت بلون الثلجِ ،

قلت لأختك المخطوبةِ : اهتمى بها !

سألتَك أن تبقى قليلاً ،

- لم يَعُدْ فى الوقت مُتَّسعٌ ،

ولملمت الحقيبة فى هدوءْ !

*　　　*

الريح تعصف هذه المرَةْ . .

والأفقُ يزأر هذه المرّةْ . .

ورصاصُ مدفعك الصبور يضئ وجه الليلِ ،

يفتح فيه ثغرَةْ !

وانساب جُرحك قطرة فى إثر قطره

ورقدتَ . . ليلُكَ شاهدٌ ،

والأرض حولك مكفهرّةْ

. .

لكنّ كفَّ الصبح رشّتْ فوق صدرك . . ألفَ زَهْرةْ !

سيمفونية الثأر

[كتبت فى أكتوبر ١٩٦٩]

قاتلٌ أنتَ . . فاسهرْ الليل وانظـــرْ

إن هـــذى الـــدمـــاء لم تتبخَّـــرْ

خلفهـــا ساحـــلٌ من النـــار . . تلَّ

من رَصاص ، وذكريات ، وثأرْ

أنـــت أنجبتـــه بـــأعيـــن قومـــى

أنـــت ربَّيتـــه علـــى كـــل صدرْ

* *

لا تنمْ فالكرى حرامٌ ، إذا كنت غريباً ، وحولك الريح تصفرْ

والأسُــود التــى ذبحــتَ بنيهـــا

تتنادى ، وتلتقى ، وتــزمجــرْ

ظمــأً فـــى حلــوقهــا يتلــوّى

ومذاق من الهزيمـــةِ .. مُـــرّْ

كلُّ قلبٍ بـــه مـــن العـــار أخــدودٌ

. . ومن طعنة الأسى ألفُ بئــرْ

*   *

لا تنمْ أيهـــا الغـــريب . . فليلِـــى

يولـــد الحقدُ فى دجـــاه ، ويكبرْ

جسداً شائه الملامـــح ، يُخفـــى

كلَّ أعضائه الغريبـــة . . شَعْــرْ

فـإذا مـا خطـا فخفَـة نسـرٍ

وإذا مـا رنـا فأعيـن صقـرْ

أنـا أسقيـه من دمـوع الثكالـى

وأغذّيـه بـالـدم المتخثّـرْ

* *

أيهـا القاتـل الغريـب . . ترقَّبْ

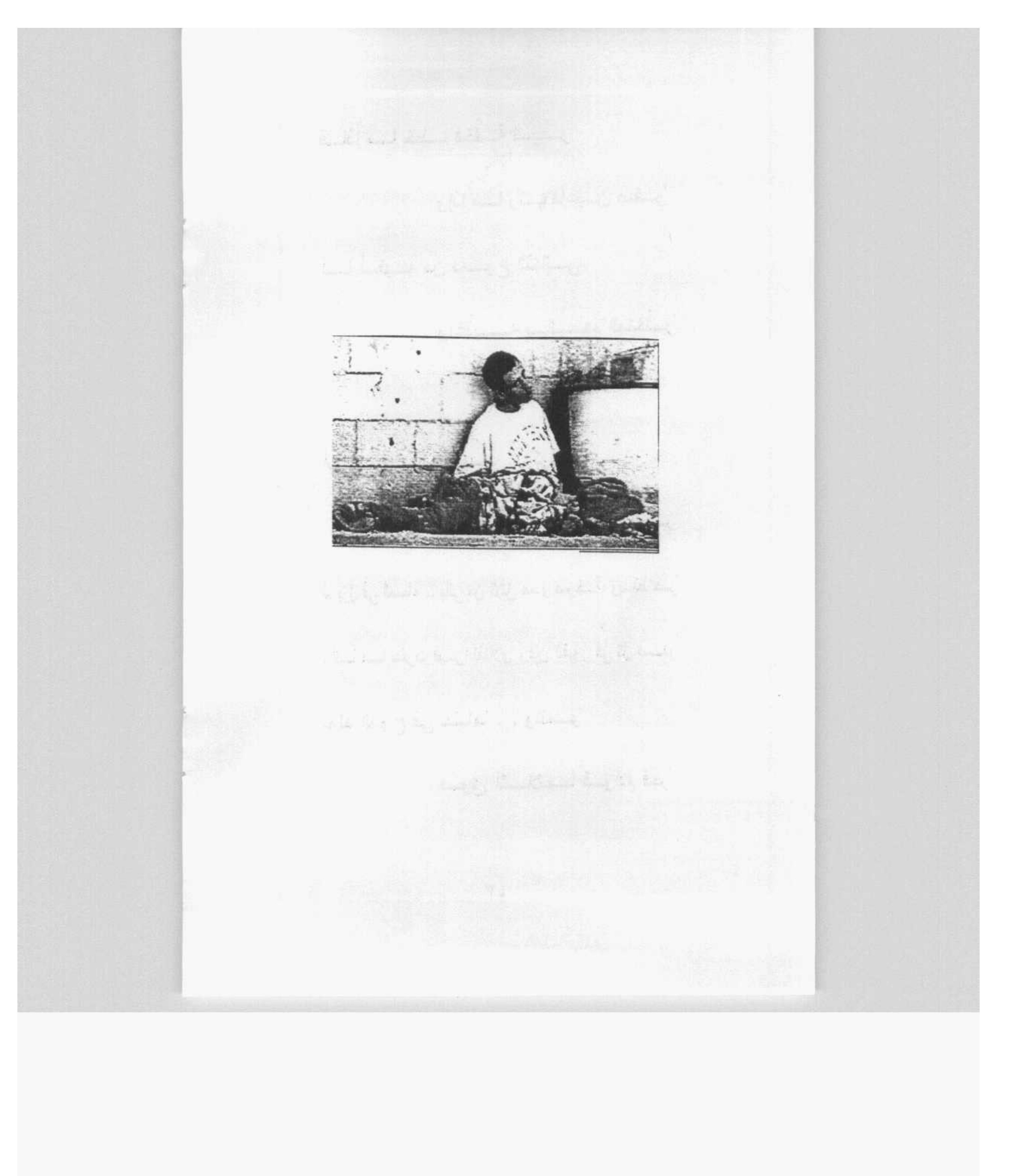
لحظـات ، فإنمـا اليـوم خمـر

لم يزل فى المساء .. يأتى من الأفق صدى صرخـة، ويسقط حـرْ

وأنـا مـا حفرتُ قبـراً لقتلاىَ ، فإن القبور فى كل صـدرْ

تولد الروح فى حشاها . . وتنمـو

فـوق أشـلائهـا قـوادم فجرْ



حظر تجول

[كتبت فى يونية ١٩٨٩]

ها أنت . . قفْ

يداك خلفْ

هويتكْ

وسترتكْ

من أين جئتْ ؟

وأين تتجهْ ؟

لا تكثر الحلِفْ

هناك تعترفْ . .

*   *

وانطلقت مزهوةً بصيدها . . السيارةُ المصفّحةْ

تاركة وراءها دوامة من الغبارْ

وران صمت الليلِ ،

أغلقت زجاجَها النوافذُ المفتّحةْ

ولم يعد فى الشارع الطويل . . غيرُ كلبْ

تجولت خطاه . . دونما هدف !

تشمم الحائط ، واستدارْ

إلى عمود النور ،

بال فوقه ،

وسارْ !

أخيراً تحدثت الأحجار

[مهداة إلى فتيان الانتفاضة . . أبطال فلسطين]

كان الحجرْ

ملقىً هناك على الطريق ،

وفجأة لقطته كفّ ،

فاستحال إلى شررْ

يعلو ، ويبرق فى الفضاءِ ،

ويستدير ، وينهمرْ . .

أىّ احترازٍ يتّقى وقع القدرْ ؟ !

هذى بنادقهم تدوّى ،

هذه عرباتهم مَلأى بأسلحةِ الدمار ،

وهذه خوذاتهم فوق الرؤوس ،

ولا مَفَرّْ

اليوم يفزعهم حَجَرْ !

واليوم يبدأ من بدايته السفرْ !

*　　*

كان الحجرْ

ملقىً هناك على الطريق بلا خطرْ

وبلا مبالاةٍ يمرّ عليه آلافُ الجنودِ ،

المترعين من الظفَرْ

وتدوسه العجلاتُ رائحةً وغاديةً ،

وليس على ملامحه أثَرْ !

من كان يحسب أن هذا الصامتَ ،

الملقى على جنب الطريق . . سينفجرْ

ويصير عاصفةً

بأيدى الخارجين على الملالة والضجَرْ !

من كان يحسب أن هذا اليومَ

قد يأتى . .

وتزحف فيه قافلةٌ من الأطفالِ ،

تهزأ بالتعقّل والحَذَرْ !

الروحُ فى يدهم تهونُ ،

وفى اليد الأخرى . . حَجَرْ

وأمامهم جبلٌ من الفولاذِ ،

يفتح عينَهُ ،

فإذا القوائمُ تنكسِرْ !

* *

سقط القناعُ . .

ولم يعد للخوف أقبية وستْرْ

هذا الحصى ينمو . .

ويرويه الدم المسفوح من حرٍّ وحرّْ

والأرض تخلع ثوبَها البالى ،

وتغتسل الشوارعُ والحُفَرْ

. .

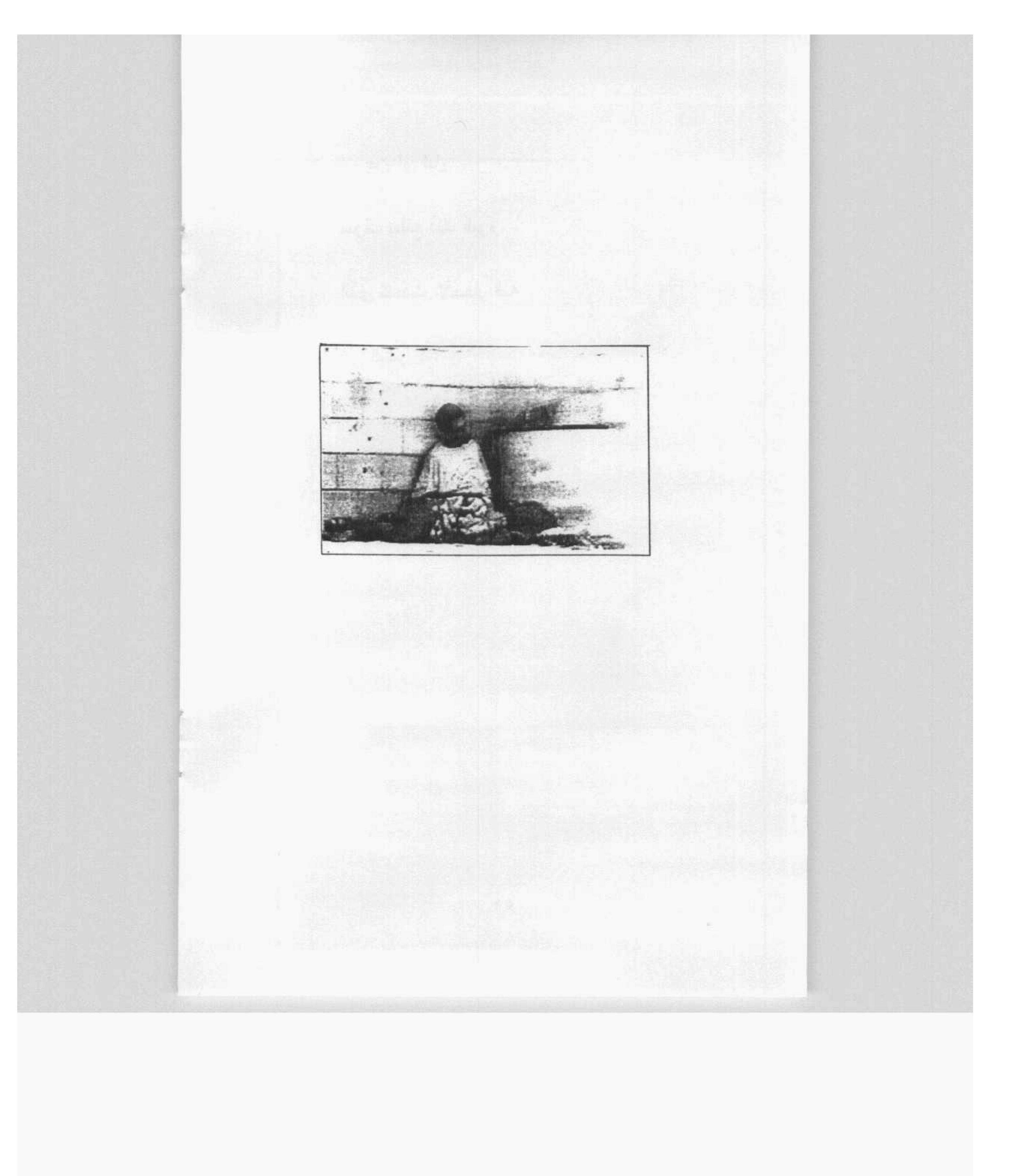
ويدور فى صدرى سؤال مستترْ :

- من أى ليل

سوف يطلع ذلك اليومُ

الذى تتحدث الأحجارُ فيه . .

إلى البشرْ ؟ !



الزمان لى

[كتبت فى أكتوبر ١٩٩١]

تَعْرِفُنى . . وأعرفكْ

تُبغضنى . . وأبغضكْ

تَطعننى . . وأطعنكْ

. .

فهل تُرَى فى العاقَبهْ

لمن تكون الغَلَبَهْ ؟ !

* *

تحوطنى . . أحيط بكْ

تخدعنى . . أخادعكْ

تظل ساهراً . . أراقبكْ

تجئ باكراً . . أجئ لكْ

. .

فهل ترى فى العاقبهْ

لمن تكون الغَلَبَهْ ؟ !

*   *

فى ملتقى الرياحِ . . قد نصبت خيمتَكْ

فهل وَقَتْكَ من غوائل الرياح . . خيمَتُكْ ؟ !

فى وسط الأمواج ، قد دفعت زورقَكْ

فهل مضى للشاطئِ المنشودِ . . زورقُكْ ؟

فى تربةٍ معجونةٍ بالدمّ ، قد بذرتَ حنطتكْ

فأىّ طعم أصبح الرغيفُ فى مائدتكْ ؟ !

قد كنتَ ضَيْفى ، وغدوتَ سارقِى

فما الذى جنيت من خيانتكْ ؟ !

تظل هارباً بمِزْودى . .

أظلّ دائماً ألاحقكْ !

فهل تُرى فى العاقبهْ

لمن تكون الغَلَبَهْ ؟ !

* *

أنشودتى على ذوائب الجبالْ

وخطوتى تخضرّ تحتها السهولْ . .

وإخوتى الذين سافروا على السفنْ

وأبعدوا . . مع القطارْ

ينتظرون الطائرهْ !

وهؤلاء الصبيةُ " المشاكسون " . .

هم الذين يرسمون اليوم باقتدارْ . .

خريطة الوطنْ !

. .

فهل ترى فى العاقبهْ

لمن تكون الغلبهْ ؟ !

*   *

تُخطىءُ إذْ تَحْسبُنى أنَا الذى أمامَكْ

فى هذه اللحظةِ ،

أو فى ذلك المكانْ ؟ !

فإننى أَمتدّ فى الزمانْ

وهذه التلالُ ، والسهولُ ، والوديانْ

ذرّاتُها من جَسَدى . .

هواؤُها من رِئَتِى . .

آبارُها مملوءةُ بأدمعى ، وعَرَقى . .

. .

فهل ترى فى العاقَبهْ

لمن تكون الغلبَهْ ؟ !

*　　*

أنا الذى حفرتُ بئر زمزمْ

وخضتُ فى مياه النيل . . حتى النبَّعْ

وانغرستْ خطاىَ فى أوراسْ

. .

أنا الذى رفعتُ فى استانبولْ

مئذنة تقول : لا إله إلا اللهْ . .

وحَمَلَتْ يداىَ من دمشقْ

رسالةً للصينْ

أنا الذى أضأتُ فى بغدادْ

وَطِرتُ من إيرانَ . . حتى الهندْ

على بساطِ الريحْ

لكنّنى الآن . . جريحْ

أشدّ من ضمادتى ، وأستعيدْ

مقدرتى على الوقوف . . من جديدْ

فَهَل تُرَى فى العاقبَهْ

لمن تكون الغَلَبَهْ ؟ !

*　　*

تكون جولةٌ . .

وقد تكونُ جولتانْ !

وبعدها . . ينصرف المقامرون ،

تنتهى مراسم الرّهانْ !

ولا يصيرُ فوق أرض الحَلَبَهْ

سوى أنا وأنتَ . .

. . خوذتى ، وخوذتكْ

للحظةِ . . البيتُ قد يكون لَكْ

والحقلُ قد يكون لَكْ

وهذه الأسلاكُ قد تكون لَكْ

لكنما الزمانُ لى . .

أنَا الزمانُ لى . .

المحتوى



من المؤلفات الأدبية
للدكتور حامد طاهر

- ديوان حامد طاهر ١٩٨٥
- ديوان قصائد عصرية ١٩٨٩
- ديوان النباحى
  (ديوان متخيل من الشعر العربى القديم) ١٩٩١
- ديوان عاشق القاهرة ١٩٩٢
- الطواحين (قصيدة فلسفية طويلة) ١٩٩٩
- نبش الذاكرة ٢٠٠٠

تحت الطبع :

ثلاث مسرحيات شعرية:

- درويش السقا
- أربعة رجال فى خندق
- الأشجار ترتفع من جديد

رقم الإيداع	٢٠٠٠/١٩٥٠٣
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977-241-334-6

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة ت : ٥٨١٧٥٥٠